(٩)

الإنسان
بين القلب والقالب
بيت ونصب

حديث الجمعة
١٧ ربيع الأول ١٣٨٢ هـ - ١٧ أغسطس ١٩٦٢ م

بسم الله قلب القلوب، وحياة القوالب.. بسم الله روح الأرواح، وحياة الأشباح.. بسم الله نور الوجود والمشاهد في كل مشهود.. بسم الله الرحمن الرحيم. به نستعين، وبه نعمل، وبه نقوم، وبه إلى الله نرجع.

الإنسان بأنانيته، ما بين قلبه وقالبه. إذا التصقت أنانيته بقالبه، كان الشيء، وكان الوزر، وكان الثقل، وكان الحمل، وكان الهو له هو القلب. وإذا التصقت أنانيته بقلبه كان الأرض، وكان المعنى، وكان الإنسان. فإن تواجد لقلبه بقلب من ولد وصار قلبه لهذا القلب قالبا، تلقى من الله كلمة كانت له جديد أنانية من الرحمن، من الحقيقة، من النور، من السر، كان بها عبدا لله، وكان في ذلك خلاصه. أما إن صار في معناه إلى معزول أناه من كبريائه، ونفسه، وعزته، فصبِغ على مكانته، كان في ذلك إبلاسه، وكان في ذلك تعاسته، وكان في ذلك حرمانه وطرده وإنظاره.

إذا عرفنا هذا فقدرناه، وطلبنا هذا الحق ووالياه، عرفنا أن الإنسان الكبير بين تشتيته وجمعه تقوم قضايا الأديان أو قضية الدين، وتقوم قضية الحق، وتقوم قضايا الوجود. إن البشرية بظاهرها على تفرق بمفرداتها، وإن البشرية بباطنها على وحدة بإنسانها من آدمها، وقديمه بقائم إنسانها وأديمه على ما هي عليه، في أزل من قائمه بنوعها وعلى عهد لبدء من قائمه لأبد بمثالها. الإنسان بينها يتجدد ويتكرر ويتعدد لآباده عودا لآزاله، بالله معها يفرقها ويجمعها، والله لها كل يوم هو في شأن. يجددها بظاهرها بآحاده منه لها لآحادها منها له، فيتجدد قديمها لها بباطنها ولا يتوقف لها تجددها في ظاهرها، فلا يتعطل لها

جديد من باطن ولا يتوقف لها تحقق من ظاهر، عطاءً من الغيب غير مجذوذ، وقياما للحق في شهادتها ناجزا غير مجحود، مواصلة للتكاثر والتجدد بالخلق قياما غير موقوت، وحقا غير مفقود.

وها أنتم في هذه الدار، وفي هذه الجماعة، وفي هذه الدائرة، للإنسان من الإنسان تشهدون هذا الأمر على وضوح فيه، وعلى بيان له، وعلى قيام بكم شتات إنسان، واجتماع إنسان في جمع بعنوان، لأمر لله في إنسانية الله لا بدء لها خلقا وحقا، ولا بداية لها حقا وخلقا، ولا توقف لها في تخلق بجديد، ولا في تحقق بمزيد. نعمة الله ناجزة، ويده بارزة، ووجهه مشرق، وأمره قائم، وحقه حاضر، لكم وبكم ومنكم وفيكم. إن قلتم رسول فمن أنفسكم، وإن قلتم حق فمن قائم الحق عليكم، وإن قلتم خلق فمن تخلقكم بأخلاق الله، واجتماعكم على أمر الله، وإيمانكم بوجه الله من ورائكم يحيط، ومشاهدتكم لوجه الله، بلطيفه فيكم قائم في مرآة أخوتكم، تشهدونه بعينه من معاني عيونكم لبصائركم، يقاربكم في تقاربكم إليه ويباعدكم في تباعدكم عنه، تؤمنون بالله بإيمانكم بالله في معيتكم وأنتم في معيته، على دين من يخاللكم وتخاللونه، ويراكم وترونه. بكم يراكم كما به ترونه، عبادا لله مكرمون، وعبادا لله في أمر الله بأمر الله فيهم ولهم لا يفرطون، عبادا لله يشهدون الله في عبوديتهم، وفي عبودية عباده بينهم من أنفسهم.

ها نحن ننتسب إلى روح مرشد لنا نجتمع إلى حضرته بفريق منا لمواقيت له معنا، ونتابع في هذا روادا من أنفسنا، يقيمهم هذا الروح المرشد لنا، ويقومون هم بمعناه، وجها له مشهودا لأعيننا، مسموعا لآذاننا، حبيبا إلى أنفسنا. فماذا نفهم؟ وماذا نعنى بهذا الذي نشهده ونقومه، ونسمع عنه ونسمع منه؟

ها أنتم تشهدون ما وعد الله وما يعد، وما فعل الله وما يفعل، من تشتيت إنسان بين قلب وقالب، ومن تجميع إنسان من قلب وقالب. إن السيد الروح المرشد "برش" إنما هو قلوبنا جميعا، إن أردناه لأنفسنا، وإن عرفناه الحق من ربنا، وإن الرائد لروادنا الذي يرودنا في طريقه ما هو له إلا خادم تأدب هو معه بعالي وراقي أدبه، فقال لخادمه وتابعه: يا أخي، يا أنا، يا عيني، يا معناي، يا وجهي، يا ظاهري، يا بني، يا خليلي، يا حبيبي. إنه أدب الإنسان يوم يصبح الإنسان إنسانا بحق، وإنسانا على كمال، لا يرى في الوجود تافها، ولا يرى في خادمه وتابعه في الروح الأعظم المطلق إلا أخا وعينا، يتخلق بأخلاق الله ربه ورب ربه، ورب ما سفله، ورب ما علاه، ربه ورب معناه، ربه ورب كل ما احتواه. ألم يقل الله ما زال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنته؟ هكذا يقول الإنسان في كماله متخلقا بأخلاق الأكبر والأعلى من رفيقه ومثاله، يقول مقالته، ويتبع سنته. إذا كان هذا ما علَّم رسول الله للناس ليكونوه، ألم يكن لرسول الله وقد تعلم من ربه وبه امتد وانتشر فكانه مع ربه، ألم يكن له من أصبح منه عين ما آل هو إليه؟ إنه المرشد اليوم لكم.

إن الروح المرشد لكم هو لكم ولرائدكم معاني القلب لقلوبكم، وأنتم له في الوقت نفسه قلبه لقلوبكم لقالبه بكم في جديد أمره لعين قادمه من قديمه، بقائمه قالبكم به النور، وقلبه بكم الروح من روح الحياة الأعظم. وما كان قلبه بكم من روح الحياة الأعظم إلا ما كان قلب رسول الله لكم، وما قالبكم به من نور الله إلا ما آل إليه قالب رسول الله، قبسا من نور الله جديدا لقديم فيه، في غيب الله وقائم الله ساحة رحمة منه، ووسيلة وصلة به. وما كان رسول الله إلا قلب وقالب، وما زال وسيبقي رسول الله قلب وقالب. قالبه وجود بأسره، وقلبه روح الحي القيوم من الحي الموجود بوجوده. فنحن إذ نتابع رائدا لقلب في قالب، نعرف فيه قالبا لقلب، ونلقى فيه قلبا لقالب في معارج الله، إنما نسلك طريقا لله، إنما نسلك طريق الله المستقيم، إنما نسلك طريق الحياة، إنما نسلك طريق الحق. المؤمن مرآة المؤمن. والمرء على دين خليله.

إن الحياة هي الطريق، وإن الطريق هي الحياة، فما هو بحي من لم يسر، وما هو بسار من لم يحيا. وإن الطريق منازل ومعارج، وإن الحياة طبقات وأطوار. إنا إذا شهدنا القالب المضاف إلى قلب فقد شهدنا القلب. وإن طفنا حول هذا القالب نُصبا للحياة فقد دخلنا القلب بيتا للحياة. وإن دخلنا البيت فقد دخلنا الحصن، وركبنا السفين، وقمنا في الخلاص، وسعدنا بالتخلص وكسبنا الإخلاص، إن الذي قال للناس، (أنا هو الطريق والحق والحياة)[1]، (أنا هو القيامة والحياة)[2]، ما انقطع بين الناس تواجده. وإن الذي قال للناس {فاتبعوني يحببكم الله}[3]، (ما أعطيته فلأمتي)[4]، ما انقطعت بين الناس أعلامه وفيهم بالساجدين قيامه. إن الذي بدأت منه الحياة.. إن آدم الحياة ما انقطع بين الناس من أبنائه تجدده وقيامه. إن عباد الله الذين عرف الناس مصطفين من الله، مكرمين من الله، عارجين إلى الله، مدانين من الله وجوها لله، ما توقف لروح الله بهم من الأرض قيام أو من السماء إعلام، عروجا إلى الأرض لتمام، أو تدانيا بحق وكلام، ثم عودا إلى السماء بحصيلة، أو قياما من الأرض بقبيلة. إن القافلة تسير، وإن الركب متصل كبير، وإن الفرد والجمع يعمل، دواب الأرض ودواب السماء، ملأ الأرض وملأ السماء بالعباد من أهل الرشاد، لا ينقطع لهم بينهم اجتماع، ولا يتوقف لهم في أمرهم ركب من أتباع، ولا يتعطل لهم مسير بانقطاع، فهم في الأرض إلى حين، وهم في السماء إلى حين، هم في العاجلة إلى حين، وهم في الآجلة إلى حين، وللآخرة للأولى في دوام خير وأبقى، سواء كانت الآخرة في هذا القيام من قائم السموات، أو الآخرة في قائم السموات من ملأ هذا القيام. إن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أيها الملأ. إن من الملأ الأعلى من يطلبونه في ملئكم ملأ أعلى، وإن من ملئكم من يطلبونه في الملأ الأعلى، وإن من الملأ الأعلى من يدعون إليه في ملئكم، وإن في ملئكم من يدعون إليه في الملأ الأعلى. إن الله لا ملأ له، وإنه في الأعلى على ما هو في الأدنى، لا فرق

عنده بين الأدنى وبين الأعلى، الكل له، والكل فيه عبده، والكل منه وجهه، والكل به أمره. لا وزير له، ولا وزر له، والملأ الأعلى له لا مكان له.

فإذا تابعتم قالبا لقلب فآمنوا بقلبه، وإن حييت به قلوبكم بنور الله في طريقكم، فاعملوا لإحياء قوالبكم. إن قوالبكم عالم قلوبكم، ومدينة بيوتكم، بيتا لله، وقلبا حيا بالله، وسراجا مشعلا بجذوة الحياة من نور الله. الحي في حياتكم، والقيوم عليكم بالحياة.

على هذا قام الدين، وبه جاء الرسل، فكانوا قوالب لقلوب، وكانوا قلوبا لقوالب، في قانون الحياة لا يتعطل لقلوبهم عمل، ولا لقوالبهم تواجد، والله لا يمنع عن طالب رفده ونعمته، الله للكل، والكل لله.

الإنسان في الله فرد وجمع، أمة في فرد، وفرد في أمة، ما تحاب الناس في الله، وما تجمع الناس في الله، وما تناجى الناس عن الله، وما قام الناس بأمر الله، فانتهوا عما نهى لخيرهم، واستجابوا لما أمر لبرهم، لبوا منه كل نداء، واستوفوا منه كل عطاء، وأنكروا على أنفسهم ما كانت لهم فيه نفس دعتهم لقطيعة، ومنعتهم عن جمع توحد فيه وتوحد به.

الله في الحب، والحب في الله، ما تحاب الناس في الله عرفوه، وما توادوا فيه قاربوه، وما تنافروا بينهم باعدوه، وأنفسهم عنه عزلوه. الله أقرب للكل من حبل الوريد، ومع الكل حيثما كان. اعرفوا الله لأنفسكم يعرفكم الله لنفسه، وتصنعوا بيديه له على عينه. اركبوا سفين النجاة من عباد رحمته، وأوردوا أنفسكم أحواض الحياة، من كتب علمه بينكم من الناس. إن الله منكم قريب ما قاربتموه، وهو عنكم بعيد ما باعدتموه، وهو لكم راحم ما رحمتم أنفسكم فاسترحمتموه، ولم تحولوا بينه وبين داره من قلوبكم لتتواجدوه، فيظهركم فيكم يتواجد، وإليكم بكم يتعارف، ومنكم لكم يعمل، ويدا له بكم للناس يمد. هذا أمركم إن كنتم من الموحدين، وهذا شأنكم إن كنتم لله من الذاكرين، وعن إحياء أنفسكم غير متوانين، وإليه أمرها واكلين فهو حسبكم وحسبنا ونعم الوكيل، لا معبود غيره، ولا مرتضى سواه، ولا مقصود إلا رحمته، ولا أمان إلا بجواره، لا إله إلا هو إليه المصير.

اللهم إنا بك آمنا فآمنا، وإليك سكنا فأنزل سكينتك على قلوبنا، اللهم إنا عرفنا أنا فيك حللنا، فأنزل اللهم برحمتك السلم والسلام على أرضنا، اللهم من أنفسنا فأعذنا، ومن الأشرار من خلقك فقنا، وبرحمتك فوفنا، وبنورك فتوفنا، وعنا فأمتنا، وبك فأحينا، وإليك فأرجعنا، ومنك وبك وإليك فأرسلنا، عبادا لك، قياما بك، ورحمة منك. اللهم لك فعّبِدنا، وبأنفسنا مزكاة برحمتك فابعثنا، واعمل الخير بنا.

اللهم ولِ أمورنا خيارنا ولا تول أمورنا شرارنا، وخذ بنواصينا إلى الخير حكاما ومحكومين، واجعل اللهم خير أيامنا يوم لقائك وخير أعمالنا خواتيمها.

لا إله إلا أنت سبحانك إنا كنا من الظالمين.

أضواء على الطريق

(تخلصوا من زيف هؤلاء الذين يحتاج خيالهم إلى فلسفات طنانة، ما لدينا هو الحق البسيط. ولمنتهى بساطته يستطيع الكل أن يقدره ويفهمه. فإنا نجاهد لنبين أن أطفال الروح العظيم لكونهم جزءا من الروح العظيم، وأنهم أطفال الله حقيقة، هم جميعا محاطون برباط الروح الخالد اللانهائي، وكلهم جزء من عائلة روحية واسعة، ومتساوون كافة في نظر الروح العظيم.

إنه من الضروري جدا أن نذكر عالمكم بهذه الحقائق البسيطة، لطالما تقلبوا بين المذاهب والتقاليد بين الاحتفالات والطقوس التي ليس لها علاقة أبدا بالدين أو الروح العظيم للحياة. ونحن لا نعنى بشيء من هذا اللهم إلا إذا ساعد نفسا كيما تحيا حياة أفضل. إنا لا نهتم إلا بالعمل لأنه الباقي من حياتكم اليومية التي بها تتجدد حالتكم الروحية بإيمانكم بروح الحياة العظيم، وبكل قوانينه الطبيعية الخالدة، إذ لا تستطيع المذاهب أو الطقوس أن تغير من سريان قانون السبب والنتيجة، ولو بقيد أنملة). من هدي الروح المرشد (برش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ (أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلاَّ بِي.) (يو ١٤: ٦)

٢ قَالَ لَهَا يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا" (يو ١١: ٢٥)

٣ سورة آل عمران -٣١.

٤ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.